

نجيب محفوظ وطريق الثورة

بقلم احمد محمد عطية

طلبة مرزوق ضد الثورة وخوفا منها . وهو ايضا هارب الى ميرامار ليبدأ منها في عمل جديد . « وقد غرب مجسد الريف وجاء عصر الشهادات يحملها أبناء السفلة ، حسن ، لنكن ثورة ، ولتدكم دكا ، اني اتبرأ منكم . سأنتهي عملا . اتبرأ منكم يا فتات العصور البالية » .

منصور باهي ، هارب أيضا من ماضيه الشيوعي ، من عقدة خيانة منظمته في ساعة محنتها . دفعه اخوه ضابط الشرطة دفعا الى الهروب من القاهرة ، الى بنسيون ميرامار بالاسكندرية . « اني فسي رأي اصحابنا جاسوس ، وفي رأي نفسي خائن ، ولا ملجأ لي الا انت » . « وما طبيعة الخونة ؟ اني ضعيف . اذعاني لآخي ضعف لا شك فيه ، واني ارشح الضعفاء للخيانة » .

سرحان البحيري ، هارب الى ميرامار ، هارب من نوع آخر ، من أسر المومس التي يقيم في شقتها ، الى خادمة ميرامار الفاتنة « زهرة » ، التي يعلق عليها الأمل في النجاة من حياة الدنس ، ومن اتفوق في برائن السرقة والاختلاس من أموال الشركة ، هو هارب من الدعارة الى الحب ، ومن تأثير افكار الجريمة الى التعلق بأمل الثور على عمل شريف . « ها هو قلبي يخفق مرة أخرى ، اجل اني أحب الفلاحة ، ليست مجرد شهوة كالتي ساقنتني الى « صفية » في الجنفواز » . « ليس الامر مجرد عمل ونجاح ولكنه قد يقنني في اللحظة الاخيرة من افكار علي بكيسر الجهنمية » .

بل ان الخادمة الريفية « زهرة » هي الاخرى هاربة من الريف الذي فقدت فيه الاب الحنون ، ومن محاولته فرض زوج عجوز عليها ، الى ميرامار .

ميرامار اذن هو ملجأ آمن فر اليه هذا الجمع الغريب من الشخصيات ، التي هي بلا شك شخصيات نمطية تعبر عن واقع حي ، وهي متصلة بشكل او باخر بالواقع السياسي لمصر بعد تحول الثورة الى الاشتراكية ، ومن ثم فهي رواية سياسية تكاد أن تكون مباشرة ، ومن هنا فانها ألصق بالثلاثية العظيمة منها بروايات المرحلة الفلسفية الرمزية ، « اولاد حارتنا » ، « اللعس والكلاب » ، « السمان والخريف » ، « الطريق » ، « الشحاذ » ، « ثرثرة فوق النيل » .

فلنر ماذا فعلت ميرامار بروادها الجدد ، وماذا فعلوا بها . وعلينا ان نلاحظ مبدئيا ، ان تيار الرواية الواقعي ، يتخلله أيضا تيار آخر ، هو تيار الوعي ، الذي لا يزيد عن كونه واقعية جديدة أيضا لا رومانسية جديدة كما يفعل تيار الوعي دائما ، وان الرواية تحلل واقعا سياسيا من خلال حدث درامي ينمو ويتطور ، يرغم انها تسرده خمس مرات مع طيات المونولوج الداخلي للشخصيات الخمس . لنا فاتنا امام قصة عميقة تتبع باخلاص من سرد الواقع ، من تيار الوعي ، الجديد يجز القديم ويذكره به ، حتى ليختلط الماضي بالحاضر اختلاطا ذكيا موحيا بمعان كثيرة وعميقة ، تيار الوعي يفصح دائما عقد الشخصيات . اما الواقع السياسي الذي تحلله الرواية ، فهو قضية خطيرة حقسا ، مدى تفاعل هذه الشخصيات مع ثورة ٢٣ يوليو وتحولها الى الاشتراكية . ولسنا بحاجة الى معاودة التأكيد بان هذه الشخصيات النمطية تمثل جماهيرنا المصرية بالفعل ، ومن هنا تنبع خطورة القضية السياسية التي تناقشها هذه الرواية ، انها تناقش مسألة بالغة الحساسية ، مدى ايمان جماهيرنا

اذا كانت شخصيات لويجي بيراندلو قد أضناها البحث عن مؤلف ، فان شخصيات رواية نجيب محفوظ الاخيرة « ميرامار » قد وجدت مؤلفها الذي عاش واقعا وعبر عنه بصدق وعمق . وكم فسي مجتمعنا العربي المعاصر من شخصيات لا تجد لها مؤلفا ، مما يتولد عنه انفصام الادب العربي المعاصر عن الواقع العربي الفوار .

ولعلنا ننسب على الفور ان نجيب محفوظ اجتذبه الحنين السبي واقعيته الاولى فأوقف سيل رواياته الرمزية المقعدة والتي وصل فيها التكثيف الى ذروته في روايته السابقة « ثرثرة فوق النيل » (١) . اما الشخصيات الخمس فهي : عامر وجدي ، صحفي عجوز ، وفدي ، أعزب ، منزوع عن الحياة . طلبة مرزوق ، اقطاعي موضوع تحت الحراسة ، سياسي سابق ، عجوز ، أرمل ، ساخط . حسني علام ، شاب ثري ، اقطاعي لم تنسسه قوانين الثورة ، يبحث عن مغامرة مالية . سرحان البحيري ، شاب ، عضو مجلس ادارة منتخب عن الموظفين ، عضو لجنة العشرين للاتحاد الاشتراكي ، أحد المستفيدين الحقيقيين من الثورة . منصور باهي ، مذبذب شاب ، شيوعي سابق ، تطارده عقسدة الخيانة والموامة بين ماضيه وحاضره .

تلك هي الشخصيات الرئيسية في رواية « ميرامار » . اما « ميرامار » فهو نزل (بنسيون) تديره اجنبية عجوز ، يضم هذه الشخصيات التي تعزف سيمفونية نجيب محفوظ الاخيرة ، كل على وتره الخاص به . فالرواية يسودها أسلوب المونولوج الداخلي . الاسلوب الغالب على روايات نجيب محفوظ الاخيرة ، المونولوج الداخلي الخاص بكل شخصية على حدة . فكل شخصية تروي انطباعاتها الداخلي بأحداث الرواية مع تعاقب فصولها .

يضم بنسيون « ميرامار » مجموعة من الهاربين بشكل او باخر . فعامر وجدي ، هارب من العالم الجديد من الصحافة الجديدة ، صحافة التلغرافات او الطائرات على حد تعبيره ، هارب من عالم غريب لا يعرفه وودع عالما لم يودعه بكلمة وداع واحدة . « انتهى كل شيء . انطوت صفحة تاريخ بلا كلمة وداع ولا حفلة تكريم ولا حتى مقال عن عصر الطائرة . ايها الاندال ، ايها اللوطيون ، الاكرامة لانسان عندكم ان لم يكن لآعب كرة ؟! » « لا زواج ، لا ابناء ، اعتزلت العمل ، انتهيت يا مارينا . » « ومارينا صاحبة البنسيون هي الاخرى هاربة من عالم ليس عالما ، أرملة وحيدة ، غريبة ، عاقر ، لم تنجب .

طلبة مرزوق ، هارب من الريف بعد ان ضاعت سطوته واراضيه في الحراسة ، وهارب من القاهرة بعدما سقطت عنه ابهة الحكم وفساء الاقطاع ، الى نزل ميرامار الملجأ الذي يفر اليه هؤلاء الهاربون . « لم يعد لي مقام في الريف ، وجو القاهرة يصر على اشعاري بهواني ، عند ذلك فكرت في عشيقتي القديمة ، وقلت لقد فقدت زوجها في ثورة ومالها في الثورة الاخرى ، واذن فسوف تعزف لنا واحدا » .

حسني علام ، هارب من الريف الذي ضاع مجده الاقطاعي . ومن فشله في الزواج من قريبته التي تريد زوجا مثقفا . هو هارب من مصيره مع انه لم يضار من الاجراءات الثورية ، الا انه يكون هارموني واحدا مع

(١) راجع دراستينا من أدب نجيب محفوظ ، المنشورتين بالاداب ، عدد ديسمبر ١٩٦٥ ، والمجلة عدد يوليو ١٩٦٦ .

القرآن الكريم سورة الرحمن بالذات ، كلها تؤكد الإيمان الشديد بالله وقدرته ، وفي نهاية الفصل الاول بل وفي نهاية كل فصل ، دفقة جديدة يمنحها نجيب محفوظ للرواية ، بشخصية جديدة وفكر جديد وحديث جديد .

اذ يفد الى ميرامار الاقطاعي السابق طلبة مرزوق ، من احزاب الاقليات التي تعاونت مع السراي وعادت حزب الوفد ، حزب عامر وجدي . فرضت عليه الحراسة لتهمة تهريب ولم يتبق له سوى ابنته المقيمة في الكويت؟! ويرفع طلبة مرزوق من حرارة النقاش السياسي ، ويقرر ان الثورة اغتالت اموال الاقطاعيين وشعبية الوفديين . فيؤكد عامر وجدي استنقلته من التوفد منذ حادث ١٩٤٢ فبراير الشهر الذي حكم الوفد فيه بناء على اوامر الانجليز وتحت حمايتهم . ويؤكد طلبة مرزوق ان الاعتداء على ماله اعتداء على نظام الكون الالهي ويسأل لماذا لا ينزل الله الطوفان . فاذا اشار عامر وجدي الى كارثة هيروشيما ، نهه الى ان هذا هو أسلوب الشيوعيين . ويؤكد طلبة مرزوق كان رهينا باستيلاء امريكا عليه عندما انفردت بامتلاك الذرة . وتعود الذاكرة بعامر وجدي الى الاحتفال بمولد ولي عهد الملك فاروق - الذي واجه مولده ثورة شعبية ضد النظام الملكي بأسره - وذهب طلبة مرزوق في عربة رولزرويس فاخرة الى الاحتفال ، وغناء سيد المطربين حتى الصباح .

ولا يلبث البنسيون ان يمتلىء بباقي النزلاء . « زهرة » الشابة الريفية الفاتنة الهاربة الى حماية مارينا من محاولة فرض زوج عليها ، فيحنو عليها عامر وجدي حنو الاب ، بينما يعاملها طلبة مرزوق معاملة الخدم ، على حين تتيقظ حواس القوادة في مارينا .

النزول الثالث سرحان البحيري ، وكيل حسابات احدى الشركات المؤممة . شاب . والرابع ، حسني علام ، الاقطاعي الشاب الذي لم تمسه الثورة بضر . واخيرا منصور باهي المذيع الشاب . وبذلك تجتمع التناقضات كلها في مكان واحد ، في شقة واحدة .

ولا يلبث عامر وجدي ، بالمونولوج الداخلي ، ان يدلنا على احداث الرواية . ثم يرويها كل واحد من الاربعة الاخرين بفهمه الخاص وفكره الخاص . فيقدم نجيب محفوظ تشريحا دقيقا لشخصيات الرواية وفكرها . وعندما تجمع ام كلثوم المجموعة حولها تتغلب السياسة على موضوعات المناقشة ، فيؤكد حسني علام انه نائر على حقد طبقتته البورجوازية على الثورة ، ولا يخفي طلبة مرزوق سخطه على الثورة فلا يمكن ان يجب عدوه ولا نفاق . وسرحان البحيري عرف السياسة مع منظمات الثورة من هيئة التحرير الى الاتحاد القومي الى الاتحاد الاشتراكي . ويدافع عامر وجدي عن الثورة التي امتصت خير ما في الاخوان والشيوعيين الذين طالما حمل عليهما ممسا . ويحلل شخصية منصور باهي بأنه من جيل الثورة المؤمن بها حقا . واذا تساءل طلبة مرزوق الاقطاعي الوقور هل تركت الثورة الحرية ل احد ، اوضح له عامر وجدي ان الحرية في ظل الثورة لها معنى اخر ، ليست حرية البورجوازيين في تكوين احزابهم ، ولكن حرية العمال والفلاحين . ويرعى عامر وجدي زهرة بعاطفة ابوية صادقة . تنمو علاقة حب بين زهرة وسرحان البحيري . ترفض زهرة من اجلها متعهد الصحف لانه يخنق المرأة . تنطلق زهرة الى العلم والعمل الجاد وتنمية شخصيتها وتأكيد وجودها المستقل . حاول حسني علام الاعتداء على زهرة . نشبت معركة مع سرحان البحيري . وضعت زهرة كل اجراها في يد مدرسة تعلمها ، لكن سرحان البحيري غدر بزهرة وتقدم لخطبة المدرسة . فاستنق سرحان احتقار الجميع . فطرده مارينا صاحبة النزل من ميرامار . ثم اعلن نبا مقتله . فوقع على سكان ميرامار وقع الصاعقة . ويظل عامر وجدي يردد آيات القرآن الكريم « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام ، فباي الاء ربكما تكذبان » .

وعندئذ تطوي صفحة عامر وجدي . ويبدأ حسني علام في روايته ، وبيان موقفه الرافضي لكل شيء ، لطبقته التي نبذته ورفضت تزويجه بقريته لعدم حصوله على شهادة دراسية ، وللريف بأسره الذي ارتفع

بثورتها ومدى امتزاج هذا الإيمان بالافعال . واذا قال قائل ان روايات نجيب محفوظ السابقة تحفل بشخصيات تنعكس على مرآتها التحولات الثورية ، فلنا انها شخصيات قديمة ، اي تمت بصلات حميمة السى الواقع القديم قبل الثورة ، وليست شخصيات ثورية يقوم عليها ومن أجلها بناء الثورة ، بل وانها شخصيات رمزية تتخطى واقعها السياسي المحدود الى واقعها الانساني الشامل . ولم يناقش الواقع السياسي من قبل بصورة جريئة في الاعمال الادبية واحتمالات الخيانة فيه فيما عدا يوسف ادريس الذي عرضت مسرحيته « اللحظة الحرجة » موضوعا سياسيا أيضا ، موقف المثقف والبروليتاري من قضية التحرر الوطني ، اذ قدم يوسف ادريس نموذج المثقف التردد الخائن عبد الشعارات الذي يجبن عندما يدعو داعي الكفاح الى حمل السلاح ضد العدو المستعمر ، بينما يهرع البروليتاري تلقائيا وبلا شعارات او تحليلات الى حمل السلاح على الفور . (٢)

ذلك ان الحركة في الرواية تنهض اساسا على ايدي الشخصيتين الثورتين في الرواية ، منصور باهي وسرحان البحيري . واما الحدث فهو مرتبط أيضا اشد الارتباط بالقضية السياسية وهو يتطور بفعل تلك الشخصيتين اللتين تمثلان الواقع والمستقبل السياسي للثورة . منصور باهي مذيع الثورة المتحدث بلسانها . وسرحان البحيري المنتفع الحقيقي من وجود الثورة ، والذي تعود اليه كل مكاسبها . فهو عضو مجلس ادارة الشركة المنتخب ديمقراطيا عن الموظفين ، وهو عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي . فمنصور باهي المذيع الممزق بين ولائه للثورة وولائه لماضيه الشيوعي . تتكون عقدة الحدث عنده فسي حبه لرفيقته السابقة وزوجة استاذة الشيوعي المتقل . فتزداد عقد الولاء عقدة جديدة باحباطه لتلك العلاقة والتصعيد بها .

وسرحان البحيري تتركز عقده في طمعه وتطلعه الطبقي ، وعدم رضاه بمكاسب الثورة ومحاولة الحلول محل البورجوازية الكبيرة المنهارة واخذ امتيازاتها بالسرقة من شركته ، واذا حسا ان يرفض الجنس الداعر ، الى الحب البريء الطاهر ، فان عقدة تطلعه الطبقي تقف بمثابة جدار سميك تتحطم عنده كل محاولات ضميره الخلاص من عقده .

ينادي عامر وجدي - الصحفي العجوز ، الذي ينسوء بعزوبته - الاسكندرية ببناء رقيق اقرب الى لغة الشعر ، « الاسكندرية فطر الندى ، نغمة السحابة البيضاء ، مهبط الشعاع المفسول بماء السماء ، وقلوب الذكريات المبللة بالشهد والدموع . . » فانه يتادي مستقبله ويناجيه ، الاسكندرية حيث بنسيون ميرامار وصاحبته مارينا القريبة أيضا والقيم التي تعاني وحدة مماثلة لوحدة عامر وجدي الاعزب العقيم . عامر وجدي يقوده تيار الوعي الى ماضيه السياسي القديم كصحفي وفدي مرموق وشهير ، الى حاضره السياسي الذي لم يعد له مكان فيه ، لا احد يعرفه ، الكل ينكره ، حتى الصنعة انتهت ايضا واصبح فيها غريبا ، انتهى عصر البلاغة وبدأ عصر لغة الطائرات . واذا تصاف وحدته وغرته الى مثيلته مارينا ، يؤكد فكره انهما من مخلفات التاريخ ، وان كل ما يريد مقصور على امله في الاموت مارينا قبله . « ما اجمل ان نوضع في متحف جنبنا الى جنب ، ولكن عديني بالاموت قلمي » . مارينا شاهد حي على التاريخ ، قتل زوجها الاول بيد ثوار ثورة ١٩١٩ ، وانتحر الثاني بفعل ثورة ١٩٥٢ . وعامر وجدي الذي يظل يجتر ماضيه السياسي وحياده بين الاخوان الذين كرههم ، والشيوعيين الذين لم يفهمهم ، والثورة وحيثه ازاها . ولم يعد عنده من رجاء الا في الله ، بان يعينه في حل مشكلة الإيمان ، وان يجنبه المرض حتى لا يجد من يخدمه . وفي ميرامار ، لم يجد بدأ من مصاحبة مارينا والروضوخ لصخب الفناء الافرنجي في عزله .

وبين فقرات الرواية يردد ضمير عامر وجدي بايمان آيات من

(٢) راجع دراستنا عن من يوسف ادريس المنشورة بمجلة الحرية

ثرية . بين تأثير المهندس علي بكر وحضه على السرقه ، وبين احلامه في نراء مشروع ، وحياء زوجية هادئة . ولكن ضميره المأزوم بين عضوبته لمنظمات الثورة وخيائنه لها في آن واحد يدل على ان زهرة هي وحدة الممثلة الاولى للثورة . « انقض علينا حديث السياسة كالفضاء المحتوم . اما سمعتم ؟ ما قولكم ؟ . اتريدون رأيي صراحة . ادرت بالفريزة اني ممثل الثورة مع احتمال مشاركة منصور في ذلك ، وانهال الشاء وتبادلنا الانتخاب ، ولحت زهرة فقلت لنفسي انها ممثلة الثورة الاولى ، وتذكرت كيف دعت لها امامي مرة وكيف لفحنني صدق الدعاء وحماسه البريء ، ترى ايرتاب منصور باهي في صدقي ؟ يا صاحبي اني بطبعي عدو اعداء الثورة ، الا تفهم ؟ واني من الموعودين ببركاتنا الا تفهم ؟ »

وهكذا يعري نجيب محفوظ سرحان البحيري ايضا ، الذي يرفض الزواج بزهرة طمعا في مدرستها . ولكن الاخيرة ترفضه ايضا . ويندفع بكل قواه الى الخيانة الكاملة فيشترك فسي سرقه الشركة . وتكتشف السرقه . وتنتهي حياة سرحان البحيري وهو مخمور بانتحاره بقطسح شرايين يده بموسى حلاقته ، بينما يرتمي عليه منصور باهي محاولا قتله .

ويتولى عامر وجدي ختام الرواية . يعترف منصور باهي يقتسل سرحان بدون سبب . ثم يتولى الطبيب الشرعي تبرئته وكشف الحقيقة . وتطرد مارينا صاحبة مرامار زهرة لانها سبب كل ما حدث . ويأمل طلبة مرزوق في حكم أميركا فيزجره عامر وجدي وينصحه بالذهاب الى ابنته في الكويت ! ويؤمن عامر وجدي ان الثورة حل حتمي افضل من الاخوان والشيوعيين ! وحين يحاول مواساة زهرة ، تؤكد زهرة وحدها استمرارها في طريقها بدون تغيير وترفض البقاء في مرامار . وتمضي زهرة وحدها في طريق العلم واستقلال الشخصية . ويردد عامر وجدي آيات مسن القرآن الكريم .

وعندئذ يبين لنا ما يريد نجيب محفوظ بجلاء . ان الثورة يسسد الفلاحين . بيد زهرة . ان البورجوازية الكبيرة والمتوسطة ضد الثورة حتى ولو استفادت الاخيرة منها . ان المثقفين ضد الثورة . ان الحزبيين ضد الثورة . ان المستقبل بيد الفلاحة الجميلة زهرة . وطريقها واضح العلم والايمان والاستقلال . بالعلم والايمان والشخصية المستقلة ستمضي زهرة في طريقها ، ولسوف يتساقط من حولها ما عداها .

احمد محمد عطية

القاهرة

صدر حديثا :

الخطيب

حوار لافلاطون في الخطابة والسياسة والحياة

نقله الى العربية

الدكتور اديب منصور

الناشر : دار صادر - دار بيروت

فيه ابناء الكادحين ، للثورة التي لم تنل منه شيئا ، ولكنها نالت مسن وجوده المعنوي . وصيحة حسني علام المتكررة « فريكيكو .. لا تلمني » صيخته الراقضة للحياة ، أليست هي رفضا مماثلا لرفض محبوب عبد الدايم وصيخته الشهيرة « ظف » في « القاهرة الجديدة » . مع اختلاف المستوى الطبقي لكليهما . ولكن ألم يرفض محبوب كل الحياة والمثسل بظف ، وألم يرفض حسني علام كل شيء ايضا حتى بفريكيكو .. لا تلمني . حسني علام يكره كل شيء يذكره بضياعه وتفاهته . وهو لا يكف عن التحدث عن عمل تجاري جديد ولكنه لا يفعل شيئا . هو يكره الاقطاعي السابق طلبة مرزوق ، ويكره ممثلي الثورة سرحان البحيري ومنصور باهي ، ويكره عامر وجدي ، ويكره ام كلثوم ويكره كل شيء حتى زهرة الريفية الفاتنة ، يكرهها لانها رفضت الاستجابة لنزواته . وظل بقسود عربته بسرعة جنونية ويتنقل بين احضان العاهرات . ويدلنا تدفق تيسار وجيه على كراهيته الشديدة للثورة بنفس منطق طلبة مرزوق برغم كل رفضه . « اسمعوا .. اقرعوا .. هذا حكم بالاعدام .. هل يقف الانجليز مكتوفي الايدي حتى تحتاحنا الشيوعية ! » « ولكني سعيد بحريتي . لقد قذفت بي طبقتي الى الماء والقارب يميل الى اليسار ، وتكني سعيد بحريتي . لا ولاء عندي لشيء ، سعادة عظمي الا يكون لك ولاء لشيء . لا ولاء لطبقة او وطن او واجب . لا اعرف عن ديني الا ان الله غفور رحيم . فريكيكو .. لا تلمني .. » ويدلنا ضميره ايضا على ان يتمه منذ طفولته وقسوة اخيه عليه اساس عقده ورفضه لكل شيء . حتى مقتتل سرحان البحيري قابله باستهانة . « فليمت من يموت وليعش من يعيش .. فريكيكو .. لا تلمني » ..

ويأتي دور منصور ، المذبح الشاب ابن الثورة ، الشيوعي السابق ، الذي يكشف ايمان سرحان البحيري الزائف بالاشتراكية . وسعد زغلول له نصيب في فكر الشخصيات ، طلبة مرزوق الاقطاعي يؤكد ان سعد زغلول هو سبب الثورة الحالية لانه اشمل في الفلاحين نارها . امسا منصور باهي فيؤكد ان سعد زغلول هو الذي طعن الثورة الحقيقية وهي في مهدها (ثورة ١٩١٩) وانظر الى كلمة حقيقية التي تعني رفضه التسليم بثورة ١٩٥٢ . وعندما يعلم منصور باهني باعتقال استاذة الشيوعي وزوج حبيبته ، يجري اليها بضميره المأزوم الممزق بين احساسه بالخيانة تجاه منظمته الشيوعية وخيانة استاذة . منصور باهني المأزوم الضمير بين هروبه من المترك السياسي الى الوظيفة الاعلامية الصارخة ، يتردى من الخيانة السياسية الى الخيانة العاطفية ، وتطارده عقدة الخيانة حتى لتضعه في موقف الرفض لكل ، حتى لحب حبيبته التي لجأت اليه اخيرا بعد طول الحاح منه . يردد ضميره الممزق « هناك شخص ينقص عليه صفوه . شخص خان دينه ! وخان صديقه واستاذة ! حب الخائن يخس مثله ! » ومع ذلك فانه يعرض الزواج على زهرة التي ترفضه باصرار مصممة على طريقها الخاص بها فسي العلم والاستقلال والايمان .

منصور باهي يتعارك مع سرحان البحيري ويصق في وجهه مسن اجل زهرة الريفية البريئة . وبعد ان يرفض حب حبيبته درية ، لانه يكره كل شيء حتى نفسه ، يطارد سرحان البحيري محاولا قتله . وعندما يصرخ فيه طالبا دمه ، لا من اجل زهرة ، انما لان في قتله حياة له ، يدونا الى تحليل هذا الموقف الخطير خاصة وان هاتين الشخصيتين لهما ايماءات سياسية متضاربة اكثر من اي ايماء اخر . انهما عماد الثورة في الرواية وهما اعدى اعدائها ، ان عقدة الماضي لدى منصور باهي لا تحل الا بقتل الحاضر . « لا حياة لي الا بقتلك ! » « اما انا فقد تركت في فكرة واحدة كأنما هي وجه الخلاص الوحيد لي . » « .. تعني باصرار وهو يقبض في منكبتي فصرخت غاضبا . انك تقضي على الابد .. »

اما الفارس الثاني للثورة ، سرحان البحيري . فهو واقع بين حبه النضر لزهرة الفلاحة الجميلة ، وبين تطلعه الطبقي الى الزواج بزوجة